سلسلة مطويات شبكة بينونة

# نجاح النهايات
## بحسن البدايات

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE
@Baynoonanet

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛

القرآن يعلمنا دومًا كيف نتعامل مع هذه الحياة، وكيف نستفيد منها الخبرات، وكيف ننهل منها نهلًا صحيحًا، وكيف أيضًا نتعامل معها في خضم هذه المتغيرات، فضَرَبَ لنا الأمثال والقصص فيمن طغى سرعان ما انتهى، ومن اتقى بقى، في قصص يعتبر منها الإنسان ويأخذ منها الحكم والفوائد، من تلك القصص المهمة قصة قارون مع قومه عندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [القَصَص: ٧٦]، كان من قوم موسى فبغى وتكبر وتجبر وظلم واعتدى مع أنَّ الله سبحانه وتعالى أعطاه من الكنوز والمال ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القَصَص: ٧٦]، المفتاح الواحد من كنوزه يحمله جمع خمسة أو ستة هذا المفتاح فما بالك بتلك الخزائن التي فيها تلك الكنوز، فقال له قومه لا تفرح؛ أي لا تفرح فرح غرور، ولا تعجب وتغتر بما عندك، فإن هذه الدنيا دار غرور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القَصَص : ٧٦] ، الله سبحانه وتعالى لا يحب من فرح فرح غرور وتجبر وتبختر، وإنما الفرح الحقيقي بطاعة الله وبما عند الله وبصلاح خلق الله.

وقالوا له: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [القَصَص :٧٧]، أي لا تترك ما عندك وترميه،

وإنما تعامل معه بطريقة صحيحة ابتغ فيه الدار الآخرة ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القَصَص : ٧٧] ، هذا المال وهذا المنصب وهذه الوجاهة إنما هي من عند الله سبحانه وتعالى، فأحسن فيما أعطاك معه سبحانه وتعالى؛ أحسن بعبادته بطاعته باستغلال ما أعطاك فيما يحبه سبحانه وتعالى، ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القَصَص : ٧٧] بأنواعه من قتل وإجرام وسفك لدماء ونهب وبغي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾، لم يقبل قارون نصيحة الناصحين مع ما فيها من جمال تعبير ووعظ وتذكير، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القَصَص : ٧٨] يعني هذا ليس من عند الله سبحانه وتعالى ولكن أنا أعلم بوجوه المكاسب وأفهم بالطرق التي أستفيد منها الأموال، فتوصلت إلى ذلك، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗا﴾ [القَصَص : ٨٧] بلى يعلم، يعلم عن من قبله كيف هلكوا وكم كانت عندهم من أموال فما نفعتهم، قال: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [القَصَص : ٧٨] ، المجرم هو أعلم بنفسه فهو على نفسه بصيرة وأدرى بما فيه، فلا يسأل عن إجرامه لأنه يعلم أنه مجرم مذنب وإن تكبر وأظهر غير ما عنده.

فأراد قارون أن يتباهى بماله وما عنده ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾ [القَصَص : ٧٩] خرج في زينة كبيرة بخدمه وحشمه وبغاله وخيوله وذهبه يمر بين الناس حتى ينظر الناس ما عنده من جاه ومال في مئات من البغال والحيوانات والخدم، فافتتن الناس وانقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: الذين يريدون الحياة الدنيا، نظرتهم إلى الدنيا نظرة قاصرة، نظرة مظاهر لم يكن عندهم شيء من العلم، ماذا قالوا؟ ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [القصص: ٧٩] يتمنوا ما عند قارون من مال، وظنوا أن هذا الحظ العظيم، ونسوا ما هو الحظ العظيم لما عندهم من جهل وتعلق بهذه الدنيا.

القسم الثاني: أهل العلم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ﴾ [القصص: ٨٠] ينصحون أهل الدنيا ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ﴾ [القصص: ٨٠] ثواب الله في الدنيا من الأجور، وفي الآخرة من الجنان ﴿خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]، هذه ثلاثة ضوابط مهمة للوصول إلى الثواب العظيم عند الله سبحانه وتعالى: الأول الإيمان، الثاني: الأعمال الصالحة، ولا يستطيع أن يثبت على الإيمان والأعمال الصالحة إلا من كان صابرًا وهو الضابط الثالث.

مرت الأيام فخسف بقارون وما عنده من مال ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١] من الذي يستطيع أن ينصر قارون إذا أراد الله سبحانه وتعالى هلاكه، وعندما أهلكه لو اجتمع جميع من في الأرض فإنهم لا يستطيعون نصرته ومساعدته، فهو عاجز عن نصر نفسه ومن معه عاجزون عن نصره، فهنا أبصر من لم يكن يبصر، وهم أهل الدنيا ﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ﴾ [القصص: ٨٢] يعني يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وذلك لحكمة بالغة ﴿لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا

لَخَسَفَ بِنَا ﴾ [القَصَص: ٨٢] أنهم لو عملوا مثل عمله وشاركوه في دنياه لخسف بهم لكن أمهلهم الله فأبصروا بعد هلاكه ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [القَصَص: ٨٢].

وختم الله القصة بقاعدة عظيمة ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القَصَص: ٨٣].

هذه القصة العظيمة الكبيرة المهمة في حياة الإنسان تبصره عدة بصائر:

**البصيرة الأولى:** أن يعلم الإنسان كيف يتعامل مع الدنيا، وأن يجعل الدنيا دار ممرٍّ ومعبر لا مقرٍّ، وما آتاه الله سبحانه وتعالى من مال وجاه ومنصب، فإنما يستخدمه لله وفي الله ولنفع عباد الله ليس بالبغي والطغيان والظلم والعدوان، فبهذا يكون كسب ما في الدنيا من خير ويثاب في الآخرة على ما أحسن فيه من أجر وثواب.

**البصيرة الثانية:** فضل أهل العلم على البلاد وعلى العباد، فإنَّ العلماء يُبصرون ما لا يبصره عامة الناس، فإنهم يرون ويعلمون بما بصَّرهم به الشرع، وما هم أعلم به بالواقع، لذلك من المهمِّ جدًا أن يعظم ويحترم العلماء، ويؤخذ برأيهم وأقوالهم، أعني بهم علماء أهل الحقِّ والاعتدال والسنة، ليس كلُّ من تصدر للفتوى والعلم أصبح عالمًا، فلابد أن نميِّزبين علماء أهل الحقِّ وعلماء أهل الباطل حتى لا تزل بنا القدم.

**البصيرة الثالثة:** العاقبة للمتقين، والسعادة للمحسنين، والفوز للمتعلمين، والنجاة للمؤمنين العاملين الصابرين على طاعة الله، إذًا من أراد

العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة فليصبر، ويكن مؤمنًا عاملًا للصالحات، أما غير ذلك فإنه عاقبة مؤقتة في الدنيا وسرعان ما تزول هذه الدنيا، ومن كانت الدنيا همه فرّق الله سبحانه وتعالى له شمله، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له، وجعل فقره بين عينيه، ومن كانت الآخرة همه جمع الله سبحانه وتعالى له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة.

إذًا لا تنظر إلى البدايات لكن انظر إلى نجاح النهايات، فهذا مهم جدًا، وإنما شرط نجاح النهايات بصحة البدايات.

شرط النهايات تصحيح البدايات

وفاقد الشرط بالمشروط لا ياتي

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن ينفعنا بما سمعنا، وأن يبارك في أهلينا وأموالنا، ويحفظ بلادنا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.